ويمكـن أن نـلاحظ ثـقل هـذا التـكويـن التـاريـخي عـلى آراء الـرجـل أيـضـا فـي أقـسام الكـلام التـي يقـترحـها رغم قيمـتها: فالنظرة التاريخيـة الزمانية هـي الـتـي دعـتـه إلى الجـمـع بـيـن الـوحـدات التـالـيـة في باب خـاص سـمّـاه الضمير، وإخراجهـا من باب الاسم وهي: الضمير وألـفاظ الإشـارة والموصـولات والعـدد [1].

أما النقطة الثانيـة في هذا الباب فتتمـثل في عدم التمييز بين الكلام باعـتباره إنجـازا فرديا وبين اللسـان باعتبـاره شكلا نظريا مجـرّدا هو عنوان مـا تشتـرك فيـه مجـموعـة لغويّة مـا. وقد وردت مظان هذا الخلط عـديدة في «أسرار اللّغـة» ومنها حديثه عن القياس حيث لا يميّز بين القياس باعتباره مظهرا من مظاهر تجليّات اللسان في حدث كـلام فردي وهو القيـاس الموافق لما درج عليه الناس في كـلامهم، وبين القـياس الخاطـئ أي الحدث الفردي الـعيني الذي يكون خـاطئا لأنه يخـالف النظام العامل آنيا في تلك اللّحظة، وإن كان هذا الخطأ يفسّر بعض الظواهر الزمانية. ولا يمكن أن نجـمع بين وجهتي الـنظر تحت باب واحد دون تمـيـز [2]. إن ما نـعيبـه على إبراهيم أنيس هو جمعه بين الظاهرتين واعتبارهما وجهين من عملية واحدة تنتظمهما معا هي عملية القياس. والذي يقتضيه الأمر عندنا هو أن يفصل بين الظاهرتين على أساس وجـهتي النظر الآنية و الزمـانية. ثم نقدّم القيـاس الأول باعتبـاره مظهرا من ثنائيـة أهم هي ثنائيـة الكلام واللسان. فـيكون القـياس علـى ما شـاع في لسان مـا مظهرا من مظاهر اللسان وتجليا أو تحقيقا فرديا لنظام مجرد أشمل منه. وضمن هذه الوجـهـة لا يمكـن أن يكـون القـيـاس الخـاطئ ذا فـائـدة لأنـه خـروج عن النظام وعدم تحقيق له. و لكن هذا القياس الخاطئ يمـكن أن يكون مفيدا ضمن وجهة نظر أخرى إذا أمكن أن يفسّـر بعض الظواهر الزمانية في لسان ما. وقـد عدنا إلى ثنائية الآنـيـة والزمـانيـة لأن ثنائيـة الكلام و اللـسـان لايمكـن أن تظهـر وتدرك إلا بعـد ذلـك التـمـييـز المنهجـي الأول لما كـان النظام لا يتـجلّى ولا يبصـر عمله إلا آنيـا. وأهمّ ما يتـرتّـب عن فقدان هذا التـمـييز المنهـجي - لسان/ كلام الخلط بين نشاط

---

1 المرجع السابق ص 293.

2 المرجع السابق ص 40.